الفصل الثالث والعشرون

ولا دقيقة واحدة

الثلاثون من حزيران عام 2006م

يوجد عدد مـن اللاعبينَ الآخرين الذين سطع نجمهم في أعالي السماء، وعلـى رأسهم رونالدينيـو؛ إذ يعتقد المراقبون والجمهور أنّـه سيكون الأفضل. ويتوقّـع الكثيرون أن يُتوَّج بلقب أفضل لاعب في بطولـة كأس العالَم، إلى جانب فـوزه بلقب الهدّاف؛ فغالبية المدرِّبينَ واللاعبيـنَ، والصحف وقنوات التلفزة، تُرشِّح البرازيل لخطف اللقب، ناهيك عن أسباب أُخرى. يُعَدّ الرهان على لاعب البارسـا صاحـب القميص رقم (10) منطقيًّا ومضمونًا؛ فقـد أنهى توَّا موسمًا رائعًـا، تُـوِّج خلاله بجائـزة الكرة الذهبيـة لأفضل لاعب في العالَـم، عدا لقب الـدوري الإسباني، ودوري أبطال أوروبا مع ناديه. كلّ مـا تبقّى عليه فعله ليُتوَّج ملكًا لكرة القدم، هو الفوز بكأس العالَم للمرّة الثانية في مسيرته.

يوجد أيضًا لاعبون آخرون يُنتظَر منهم الكثير، أمثال زميل ليو في الفريق؛ رونالـدو الذي يتوقَّـع أن ينتفض مرّة أُخرى؛ وديفيد بيـكام اللاعب الألمعي في عالم كرة القدم؛ وزيدان الذي يخوض آخر تحدٍّ له في مسيرته الكروية. ويوجد لاعبـون منافسون لهم. ولكـن، بدرجة أقلّ، مثل: فيغو، وبـالاك، وتوريس، وفان نيستلروي، وديل بييرو.

وفيما يخصّ المنتخب الأرجنتيني، فالاسم الذي يتردّد على كلّ لسان هو خوان رومان ريكلمي؛ البالغ من العمر الثامنة والعشرين، والمولود في بوينوس آيرس، وهو لاعب وسط مهاجم في نادي فياريال، ولم يسبق له الفوز بكأس العالَم من قبل، ولكنّ ذلك لم يمنع خوزيه بكرمان من وضع كامل ثقته به.

بني منتخب الإلبيسيليستي حول ريكلمي، كما اعتمد أداء المنتخب على ما يبذله من مجهود في المباراة. إنّه من نوعية اللاعبينَ الهادئينَ، وتتمثَّل مهمته في قيادة الفريق. لذا، يتعيّن عليه أن يكون صُلبًا، وأن يُبدِع في اللعب، فضلًا عن التحرُّك بين خطوط الفريق؛ لتزويد المهاجمينَ بالتمريرات الحاسمة.

أمّا ميسي فهو ينتمي حاليًّا إلى فئة نجوم الصف الثاني، أو بالأصح إلى اللاعبينَ الشبّان الواعدينَ. وقد نُصِّب كمارادونا الجديد، وينبغي أن يكون كأس العالَم فرصته السانحة لمفاجأة العالَم أجمع وهو لايزال في سنّ الثامنة عشرة، وذلك بعدما اشتُهِر عالميًّا عقب مباراة ستامفورد بريدج.

اختاره المشجعون إلى جانب البرتغالي كريستيانو رونالدو والإكوادوري لويس فالنسيا، من ضمن ستة لاعبينَ مرشحينَ لجائزة أفضل لاعب صاعد في كأس العالَم (رُشِّح الثلاثة الآخرون من الفيفا، وهم: سيسك فابريغاس، والسويسري ترانكويلو بارنيتا، والألماني لوكاس بودولسكي). وقد مُنِح هذا اللقب أول مرّة في الأول من شهر كانون الثاني عام 1985م. وكان يتعيّن على أيّ لاعب يودّ المنافسة، الظهور على الملاعب الألمانية، وإثبات قدراته في مجال: الأسلوب، والشخصية، واللعب النظيف، والشغف بكرة القدم.

يريد الأرجنتينيون رؤية ميسي في التشكيلة الأساسية، وهم يعلِّقون آمالهم كلّها عليه؛ إذ يريدون تأكيدًا للقصص الرائعة القادمة من أوروبا عن خليفة مارادونا، ويريدونه متجسِّدًا في قميص المنتخب الوطني. فهم يحلمون منذ

أيـام الفتى الذهبي (لقـب مارادونا) بقدوم لاعب متميِّـز؛ لاعب ساحر مبدع، يحبّونـه ويمجِّدونه بالطريقـة نفسها التي أحبّوا بها دييغـو ومجّدوه، وما زالوا. وكان هـذا الأخير قد طالب منـذ أشهر بمنح ميسي القميص رقم (10)، وهو قميص كان قد سُحِب من الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم؛ تكريمًا لمارادونا.

صحيـح أنّ ليـو ترعرع بعيدًا عن بلده، لكنّه عاد فـي الأشهر الأخيرة، بعد تعافيـه مـن الإصابة التي لحقت به في مباراة فريقه أمـام تشيلسي؛ إذ أُتيح له الوقت للظهور، والقيام بمقابلات، وتصوير إعلانات تتعلّق ببطولة كأس العالَم. وقـد راهنـت شـركات أرجنتينيـة وعالمية عليـه؛ للاستفادة من هـذا الحدث العالمي. وكانت أديداس إحدى تلك الشركات، حيث قامت بإلصاق صور كبيرة تحمـل صوره على مبانٍ عملاقة، بَدءًا بروما، ومرورًا ببرلين، وانتهاءً ببوينوس آيرس.

حظي ليو بشهرة واسعة - عشيّة انطلاق البطولة- فاقت ما حظي به جميع زملائـه في الفريق؛ مـن ناحية ترويجية على الأقلّ. لا شـكّ في أنّه حصل على تغطيـة إعلامية أكثـر ممّا ناله أيّ عضـو من أعضـاء الإلبيسيليستي الآخرين. ولكـن، من شأن ذلك الترويج إيجـاد الغيرة، وهو أمر يُعَدّ عائقًا آخر أمام تقبُّل اللاعب الصغير بوصفه أحد أعضاء فريق بكرمان.

ناصـب أعضاء الفريق العداء لميسي أخيرًا؛ مـن جرّاء نجاحه في بطولة كأس العالَـم للشباب. ففـي مباراته الأولى مـع المنتخب الوطنـي الأول، التي أُقيمـت في بودابست علـى الملعب المُسمّـى فيرينك بوشكاش تكريمًا للاعب المجري الشهير، يوم السابع عشر من شهر آب عام 2005م، وكانت مباراة ودية أمـام المنتخب المجري؛ يدخل ليو بديلًا لماكسي لوبيـز في الدقيقة الخامسة والستيـن، إلّا أنّه لـم يمكث على أرضـ الملعب سوى أربعين ثانيـة فقط؛ فعند

لمسته الثانية للكرة، قام بمراوغة فانزاك، لكنّ هذا الأخير مسكه من قميصه الجديد ذي الرقم (18)، فرفع ميسي ذراعه محاولًا التملُّص من خصمه. عندئذٍ، حدث التصادم، وأصابت ذراعه وجه المدافع. ولم يتردّد الحكم الألماني ماركوس ميرك في إشهار البطاقة الحمراء له بداعي ضربه الخصمَ بمرفقه.

لاعبو المنتخب الأرجنتيني لا يصدّقون أعينهم، فزميلهم الصغير يُطرَد في أول ظهور دولي له. لم يتخيّل ليو حدوث ذلك، وسيُمضي ما تبقّى من زمن المباراة، وهو في حالة بكاء شديد. يعتقد مدرِّبه وزملاؤه في الفريق أنّ الحكم قد بالغ في قراره، لكنّ كلمات المواساة تلك لم تُجدِ نفعًا معه.

بعد الظهور الأول المرير، سيخوض ليو مباريات جديدة من شأنها مساعدته على نسيان مسألة الطرد، والانسجام أكثر مع الفريق. لكنّ ذلك ليس أمرًا سهلًا. فالأمر جلي وواضح؛ إذ تغلِب على ميسي صفة الخجل، وهو لا يتحدث إلى زملائه، أو إلى الطاقم الفني إلّا نادرًا.

توجد مواقف كثيرة تُثبِت ذلك الأمر. فعلى سبيل المثال، حين دعا المدرِّب أعضاء الفريق إلى حفل شواء أرجنتيني تقليدي، في أثناء وجودهم بمعسكر مدريد؛ بغية زيادة الترابط والألفة بينهم، لم ينبس ليو ببنت شفة، ولا حتى لطلب بعض اللحم. لقد كان صمته باديًا للعيان، وباعثًا على القلق. حتى إنّ ميسي لا يخرج عن صمته للقيام بالواجبات والمهام الرسمية المتوقّعة منه.

حادثة أُخرى تؤكِّد هذا الأمر؛ فقد كان من المتعارف عليه في عيد الميلاد، أن يَحضر اللاعبون لزيارة مدرِّبهم بعد قضاء بعض الوقت مع عائلاتهم، لكنّ ميسي لم يحضر. يضاف إلى ذلك أنّ الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم يجد دائمًا صعوبة في معرفة مكان وجوده.

وعلاوة على ذلك، لا يلتزم هذا الفتى بالتسلسل الإداري للفريق، ولا بالأعراف التي تُعَدّ أساسية في كرة القدم الأرجنتينية. إنّه ليس متمرّدًا، ولا مثيرًا للمشكلات، ولا يقصد شيئًا من تصرفاته، إنّه كذلك وحسب. فعلى سبيل المثال، في التدريبات التي سبقت ظهوره الأول مع المنتخب، صادف غابرييل هاينزه وجهًا لوجه. وقد تكرَّر هذا الأمر أكثر من مرّة، لكنّ ميسي تجاهله. فيبدأ هاينزه، المدافع الحالي لنادي أوليمبيك مرسيليا، بالغليان، ويوشك أن ينتقم لكبريائه المجروح. عندئذٍ، يضطر بكرمان إلى التدخُّل لحماية الفتى الصغير، وكبرياء أحد لاعبيه. تلك حادثة ستتكرّر مع لاعبينَ آخرينَ في مقرّ إقامة الفريق بمدينة نوريمبيرغ الألمانية. أقلّ ما يمكن أن يقال عن أسلوب لاعب برشلونة الشاب: إنّه خالٍ من الاحترام. ولكن، بصرف النظر عن مسألة الطرائق المتعارفة والضاربة في القدم، فعلينا التنويه بأنّ ميسي لايزال صغيرًا جدًّا. فبمقارنة بسيطة، حتى مارادونا لم يُخْتَر ضمن تشكيلة المنتخب الوطني المشارك في بطولة كأس العالَم لعام 1978م، بقيادة كارلوس بيلاردو (ورد خطأ اسم سيزار بيلاردو، وربّما اختلط الأمر على الكاتب، فظنّه المدرِّب سيزار مينوتي الفائز بكأس العالَم عام 1986م رفقة المنتخب الأرجنتيني) عندما كان في سنّ الثامنة عشرة، على الرغم من أنّه كان نجمًا صاعدًا. ميسي الآن في ألمانيا. ولكن، ينبغي للمرء تذكُّر أنّ المنتخب الأول المشارك في بطولة كأس العالَم، لم يضم في صفوفه لاعبًا في الثامنة عشرة منذ ثلاثينيات القرن الماضي.

هنالك درس كان يتعيّن على اللاعبينَ الذين جلسوا طواعية على دكّة البدلاء أن يتعلّموه؛ هو ضرورة حماية المواهب الصاعدة بأيّ ثمن، وعدم إلقاء ثقل الهزيمة على كاهلهم. فقد يُشكِّل ذلك خطرًا عليهم، خاصة أنّ التاريخ - في مثل هذه الحالة- لا يرحم أحدًا.

فعلت الإصابة التي تعرّض لها ميسي في السابع من شهر آذار الشيء نفسه؛ فعلى الرغم من تحسُّن حالة ميسي ظاهريًّا، ولعبه كثيرًا من المباريات الودية قبل بطولة كأس العالَم، إلّا أنّ بعض المطلعينَ رأوا أنّه لايزال يعاني مشكلات عضلية. أمّا بالنسبة إلى حالته النفسية فميسي سعيد بخوض تجربته الأولى ببطولة كأس العالَم. لذا، نجده يؤكِّد في تصريحاته التي تسبق البطولة ما يقوله الجميع: البرازيليون، بقيادة زميله رونالدينيو، هم المرشحون لنيل اللقب، «لكن لدينا فريق جيد نحن أيضًا. يضم المنتخب الوطني لاعبينَ رائعينَ جدًّا. طبعًا سنتعامل مع الأمر خطوة خطوة، وستكون لكلّ مباراة أهميتها. سنواجه خصومًا أقوياء، وستكون المباريات كلّها معقَّدة. لكنّني أُومن بأنّ الأرجنتين قادرة على الفوز ببطولة كأس العالَم».

أوقعت القرعة منتخب الإلبيسيليستي في المجموعة الثالثة، التي سُمِّيت بمجموعة الموت منذ بَدء هذه العملية، وهي تضم ساحل العاج، وصربيا ومنتينيغرو، وهولندا. لن يكون المشوار سهلًا، خاصة أنّ الكارثة التي وقعت في بطولة كأس العالَم السابقة، في كوريا الجنوبية واليابان، ما زالت حاضرة في الأذهان.

تقام المباراة الأولى أمام ساحل العاج في العاشر من شهر حزيران، الساعة التاسعة مساء في مدينة هامبورغ. يُذكَر أنّ ميسي أُصيب بكدمة خلال حصة تدريبية قبل ذلك بخمسة أيام، ما جعل مشاركته في المباراة أمرًا صعبًا. لذا، قرَّر المدرِّب إراحته والإفادة منه في المباريات القادمة، فهو - بعيدًا عن كلّ شيء- غير مقتنع أنّه مستعِدّ للعب بما نسبته 100٪. حتى إنّ المدرِّب قال: «لا نَعِد بأمر قد يجعلكم تتوقّعون أيّ شيء. لقد لمسنا تطوّرًا مع كلّ حصّة تدريبية. حالته تتحسّن شيئًا فشيئًا. نحن ممتنون للجهد الذي بذله كي يتمكّن من الحضور معنا إلى هنا».

لايـزال ميسي حبيس الدكّة، وهو يشاهد كريسبو يسجّل هدفه الدولي رقم (30)، بعـد أن مارس هوايته في استغـلال الفرص. ثمّ نـراه يراقب مجريات الأمور باهتمام، خاصة حينما ينزل الإلهام على ريكيلمي؛ إذ يرسِل هذا الأخير تمريـرة دقيقة على الرغـم من أنّه يلتفـت ناحية المدرّجات. ويـرى (الأرنب) سافيـولا، غير المراقب يحوِّل التمريرة بلمسة واحـدة إلى هدف خدع الحارس تيزييه. يواصل ميسي مراقبة الأفيال (لقب منتخب ساحل العاج) وهم يحاولون العـودة إلى المباراة، ويصنعون الفرصة تلو الأُخرى. ولكن، من دون أن يتمكّنوا مـن التسجيـل، إلّا أنّهم نجحوا في ذلـك قبل نهاية المبـاراة بقليل؛ بهدف من دروغبـا كالعادة، ونجحوا في اختـراق الدفاع الأرجنتيني الـذي يقوده المتميِّز أيالا، لتنتهي المباراة بفوز الأرجنتين (1-2).

لقـد كان أداء الإلبيسيليستي مبشِّرًا، حتى من دون ليو. يعلِّق بكرمان على المباراة قائلًا: «كرة القدم بالنسبة إليَّ لا تتغيّر. أتوقّع أمورًا معيّنة من فريقي، وأنـا هنـا لا أتحدث عن رغبات بحتة، بل أحلِّل مجريـات الأحداث فحسب. لقد قدَّمْنا أداءً جيدًا تميَّز بالتركيز على الجانب الدفاعي، قياسًا على أنّ تلك كانت مباراتنا الأولى، وتمكَّنّا من إيقاف اللاعبينَ الخطرينَ في منتخب ساحل العاج. صحيح أنّنا لم نقدِّم أداءً متميِّزًا، ولكنّ حقيقة أنّنا لم نفقد أعصابنا كانت أمرًا جيدًا جدًّا».

نقرأ من كلام المدرِّب هذا أنّه راضٍ عن نتائج الفريق حتى هذه اللحظة، ويبدو ذلك جليًّا حينما زجّ بالتشكيلة ذاتها – باستثناء إقحام لوتشو غونزاليس مـكان إيستيبان كامبياسو- في المباراة الثانية أمام منتخب صربيا ومنتينغرو، مـع أنّ هـذه الأخيرة خسـرت مباراتها الأولى أمـام هولنـدا، وأنّ المدرِّب كان يَعُدّها المنافس الأصعب في المجموعة.

أُقيمت المباراة في السادس عشر من شهر حزيران في مدينة غيلسين كيرشن، وميسي على الدكّة مرّة أُخرى. يجلس كارلوس تيفيز إلى جانبه، وينتظر خمسًا وستين دقيقة، يشاهِد في أثنائها فريقه وهو يسجّل ثلاثة أهداف، ثمّ يسأل نفسه: كم هدفًا كان سيُسجِّل لو قُدِّر له أن يلعب؟

ينهض بعدها على قدميه، مرتديًا القميص الأصفر العاكس، ثمّ يقوم بعمليات الإحماء على الخط. الإحماء علامة مبشِّرة، إلّا أنّه يعود إلى مقاعد الدكّة، ملتزِمًا بتعليمات المدرِّب وإيماءاته، وأخيرًا يَسمح له هوغو توكاللي، مساعد المدرِّب، بارتداء القميص الأزرق رقم (19). تسنح أول مشاركة له في بطولة كأس العالَم في الدقيقة الرابعة والسبعين؛ إذ يدخل مكان ماكسي رودريغيز، وينضم إلى التشكيلة رفيقه الشاب الآخر كارلوس تيفيز.

يقوم مارادونا الجالس على مقاعد المدرّجات برفع يديه في الهواء، يصرخ ويشجع ميسي برفقة الآلاف من أنصار المنتخب الأرجنتيني، مردِّدين: «هيّا... هيّا... ميسي... ميسي». ثمّ يرفع أحدهم لوحة تظهر عليها صورة البرغوث وإلى جانبه كأس العالَم. وقد كتب تحتها عبارة «هذا هو حلمي». في حين يلوِّح آخرون بلافتة كُتِب عليها: «إنّه أرجنتيني، إنّه المنقذ». وتلوِّح فتاة صغيرة بلافتة مخاطبة بكرمان: «خوزيه، أشرك ميسي، (أرجوك)»، وهو رجاء تحقَّق أخيرًا.

كان أداء الإلبيسيليستي جيدًا حتى تلك اللحظة، أداء كفيل بإسكات المنتقدين، لكنّ الأمور تتغيّر حين يدخل البرغوث؛ إذ يرغم صاحب الرقم (19) فريقه المستكين على الاستفاقة، ويجعل أفراده يتحرّكون من جديد، ويسرِّعون من أدائهم شيئًا فشيئًا. وما أن يمرِّروا له الكرة، حتى ينطلق كالسهم، وكلّ ما يريده هو وضعها في مرمى الخصم. يذهل الجميع من طريقة تجاوزه اللاعبينَ.

يكسب الفريق ركلة حرّة، فيندفع ميسي بسرعة متّجِهًا إلى شمال منطقة الجزاء. وبعد أن يصل إلى خط النهاية، يرفع رأسه، ثمّ يرسِل الكرة إلى القائم البعيد بمحاذاة خط المرمى في زاوية مثالية بالنسبة إلى كريسبو، الذي يتوقّع بدوره ردّة فعل الدفاع الصربي، فيمدّ قدمه ليضع الكرة في المرمى، رافعًا غلّة فريقه إلى أربعة أهداف. وفي الدقيقة السابعة والثمانين، يمرِّر تيفيز الكرة إلى كريسبو، الذي يعيدها بدوره إلى تيفيز، فيقوم هذا الأخير – كان قد سجّل الهدف الخامس – بإمرار الكرة إلى ميسي بمنتهى اللاأنانية. وحينئذٍ، ينطلق ليو من الجهة اليمنى، ثمّ يتخلّص من أحد المدافعينَ، ليضع الكرة بين القائم ويد حارس المرمى. يقف ميسي للإشارة إلى اللاعب الذي أهداه تمريرة الهدف، فيأتي كريسبو مسرعًا ويحضنه، في الوقت الذي جُنَّ فيه جنون الجمهور.

يا لها من بداية رائعة في بطولة كأس العالَم بالنسبة إليه! لكنّه يقلِّل بعد ذلك من الأمر بقوله: «لم أكن أُفكِّر في ظهوري الأول. كنت أُفكِّر في الفوز بمباراة راودتني رغبة شديدة في المشاركة فيها. أصدقكم القول: إنّني لم أُفكِّر بعدُ في أنّني قد شاركت في هذه البطولة، وإنّني حقّقت اليوم حلمًا».

ماذا الآن؟ على بكرمان اتخاذ قرار، وحلّ معضلة؛ فقد كتب بيب غواردیولا في صحيفة إل باييس: «تريد البلاد من المدرِّب أن يشرِك ميسي من البداية، لا أن ينتظر حتى الدقيقة الرابعة والسبعين. وإنّ الصحافة، التي تلاحِظ جيدًا صاحبَ الأداء الأفضل من اللاعبينَ، تريده أيضًا. إنّه لاعب ترغب البلدان كلّها والصحافة جمعاء في أن يلعب ضمن منتخباتها الوطنية. إنّه فقط (بكرمان) يعرف ماذا سيفعل بهذا العبقري. لا يوجد شكّ في أنّ ميسي سيؤدي في مباراة كاملة بالطريقة نفسها التي أدى بها خلال ربع ساعة. كان الوضع أمسِ كالأمّ التي تخبِّئ الحلويات جيدًا في مكان بعيد عن ابنها، لكنّها تعطيه منها حين يشرع في البكاء. تلك حيلة مضمونة النجاح، حتى ولو ربع ساعة».

كان القرار سهلًا في نهاية المطاف، وأصبح الوضع أخفّ وطأة؛ فالمباراة الأخيرة في المجموعة الثالثة أمام منتخب هولندا أصبحت أقلّ أهمية؛ إذ نجح الفريقان في التأهّل إلى دور الستة عشر، وما عليهما الآن سوى تحديد المتصدِّر. يمكن لبكرمان الآن اصطياد عصفورين بحجر واحد؛ إشراك ميسي وتيفيز في التشكيلة الأساسية، وإراحة كريسبو وسافيولا وتجنّب حصولهما على بطاقات صفراء، ما قد يعني غيابهما عن الدور القادم. المهم أنّ الجميع راضٍ بذلك، خاصة مَنْ يريد رؤية العبقري الصغير القادم من روزاريو يلعب مجدَّدًا.

إنّه اليوم الحادي والعشرون من شهر حزيران، ومدرّجات ملعب فالدستاديون بفرانكفورت تحفل بالجماهير المحتشدة، التي تترقَّب ظهور ميسي، خاصة يوهان كرويف، وميشيل بلاتيني، وفرانس بكنباور، ولا ننسى طبعًا دييغو مارادونا الذي يرتدي قميص الإلبيسيليستي ولا شكّ. وبعبارة أُخرى، فإنّ صفوة الصفوة من اللاعبينَ الذين شاركوا في بطولات سابقة لكأس العالَم، هم في انتظار ليو.

كان ليو آخر مَنْ نزل من حافلة الفريق، وهو يضع سمّاعتي جهاز الآيبود في أذنيه، وآخر مَنْ بدَّل ثيابه، بعد أن ألقى نظرة على الملعب، وتحدث إلى زميليه في برشلونة فان برونكهوست وفان بوميل اللذيْنِ سيشاركانه اللعب مع المنتخب البرتقالي، وآخر مَنْ بدأ عملية الإحماء.

حان وقت دخول الملعب، وما زال ميسي ينتظر في الصف بمنتهى الاحترام. يرتدي في قدميه زوج أحذية من صنع أديداس، مصمَّم خصيصًا ليتناسب مع هالة الظهور في مثل هذه البطولة. كُتِب على الحذاء اسم ليو، ورُسِمت الشمس التي تُميِّز العلم الأرجنتيني، وعبارة «يد الرب» (قال مارادونا بعد تسجيله هدفًا بيده في مرمى منتخب إنجلترا في كأس العالَم عام 1986م: إنّ يد الرب هي مَنْ سجّلته)، والتاريخ 22 حزيران 1986م.

كان اليـوم اللاحق للمباراة يصادف الذكـرى العشرين لتسجيل مارادونا هدفين في مرمى منتخـب إنجلترا في بطولة كأس العالَم عام 1986م؛ أحدهما باليد، والآخر بالقدم.

كانـت أنظار الجماهيـر مصوَّبة نحـو الملعب، في انتظـار العجائب التي سيصنعهـا ميسي هذه المرّة؛ فإذا استطـاع أن يعيث بدفاع الخصوم دمارًا في غضون ربع ساعة فقط، فمَنْ يدري ما الذي سيفعله في (90) دقيقة. وحتى في حـال لم يُقدِّم أفضل ما عنـده تلك الليلة، إلّا أنّ بإمـكان الجميع الشعور بعِظَمِ التأثير الذي يُحدِثه وجوده.

لعـب ميسي جهـة الجناح الأيمـن في الشـوط الأول، وتولّى تيـم دي كلير مراقبتـه. وقـد تمكَّن من لمس الكـرة إحدى عشرة مرّة، وفقدهـا مرّة واحدة، ومرَّرها سبع مرّات على نحوٍ صحيح. أمّا في الشوط الثاني فقد أخذ يتحوّل إلى الجناح الأيسر، ليصبح تحت رقابة كيف ياليس. ولكنه لم ينجح في لمس الكرة سـوى ثـلاث مرّات فقط خلال ثـلاث وعشرين دقيقة، تمكَّن فـي إحداها فقط من اللعب كما يجب؛ ما دفع بكرمان إلى سحبه من الملعب في الدقيقة التاسعة والستين، ليحلّ خوليو كروز مكانه. كانت الإنجازات متواضعة في تلك المباراة: تسديـدة عاديـة بالقدم اليسـرى، وتمريرة جيـدة أو اثنتـان، إحداهما بالعمق لكامبياسو الذي سددها، لكنّ فان دير سار تصدّى لها بصعوبة، وتمريرة رائعة لماكسي رودريغز، ومناورة (واحد- اثنان) جميلة مع ريكيلمي، سدّدها الأخير، لكنّها حادت عن المرمى بقليل.

كانت تلك المباراة أكثر المباريات ترقُّبًا في الجولة الأولى من بطولة كأس العالَم؛ صدام بين فريقين قويين سجلّهما حافل بالكثير من الإنجازات (أبرزها نهائـي كأس العالَم عـام 1978م)، لكنّـه كان مخيِّبًا للآمال. وقـد صرَّح بعض

الصحفيين - بمكر ودهاء- بأنّ الأداء العادي الذي قدّمه صاحب الرقم (19) سيكون أفضل مبرِّر للمدرِّب كي يعيده إلى مقاعد البدلاء، وهذا ما حدث فعلًا.

في الرابع والعشرين من شهر حزيران، الذي يصادف عيد ميلاده التاسع عشر، يجلس ميسي على أحد مقاعد البدلاء مشاهدًا مدّة (84) دقيقة. ومنتخب الأرجنتين لا يؤدي جيدًا هذه المرّة؛ فمنتخب المكسيك الذي يدرِّبه الأرجنتيني ريكاردو لا فالوبيه يضغط بكلّ قوته. ثمّ يدخل ميسي مكان سافيولا، وكانت النتيجة تشير إلى التعادل بهدف لكلّ فريق. وبينما كانت المباراة تتجه نحو الشوطيْنِ الإضافييْنِ، غيَّر فتى البارسا من إيقاع فريقه، فمنحه العمق المطلوب، وسار بالكرة بين اللاعبينَ، ليبني هجمة أحرز منها ماكسي رودريغز هدفًا رائعًا. وبذا، وصلت الأرجنتين إلى ربع النهائي بعد مخاض طويل، خلافًا للتوقّعات.

بعد ذلك، واجهت الأرجنتين فريق البلد المستضيف ألمانيا في برلين، في الثلاثين من شهر حزيران. وقد لعب منتخب الأرجنتين (120) دقيقة من دون أن يشارك ميسي منتخب بلاده في اللعب، ولو دقيقة واحدة.

لقد كان ذلك أمرًا غامضًا، وكانت مباراة مثيرة للجدل انتهت بخسارة الأرجنتين بفارق الضربات الترجيحية 2-4 (انتهى الوقت الأصلي والإضافي بالتعادل 1-1).

لنعد بشريط المباراة الحاسمة هذه إلى الوراء قليلًا؛ لنتعرَّف الحال التي آل إليها هذا اللاعب (حبيس دكّة البدلاء)، الذي كان يُفترَض أن يلعب دورًا محوريًّا في الفوز ببطولة كأس العالَم.

قام بكرمان بسحب سافيولا من التشكيلة الأساسية، ووضع تيفيز مكانه، ولعب لوتشو غونزاليس ضمن هذه التشكيلة؛ إنّهما لاعبان يؤديان جيدًا مع

الفريـق مـن دون شكّ. وقد اضطر بكرمـان إلى إجراء أول تبديـل في الدقيقة الحادية والسبعين، فسحب باتو أبودنزيري الذي أُصيب بعد احتكاك باللاعبينَ الألمـان العمالقة، وأدخل مكانه ليو فرانكو. ثمّ يأتي الدور بعدها على ريكيلمي؛ فقد «كان متعباً» كما يصف المدرِّب لاحقًا. فيدخل كامبياسو بدلًا منه.

حـاول المـدرِّب إيجـاد تـوازن فـي الفريـق، أو بالأحـرى، سـدّ المنافذ، والمحافظة على النتيجة. فمنتخب الأرجنتين متقدّم بهدف سجّله أيالا بالرأس، إلّا أنّ الفريق أخذ يتراجع إلى مناطقه الخلفية بفعل الضغط الألماني، ويشتكي من الاحتكاكات الخشنة التي يتعرّض لها من اللاعبينَ الألمان.

أجرى المدرِّب التبديل الأخير في الدقيقة التاسعة والسبعين، حيث أدخل كـروز مكان كريسبو، ليسجّـل كلوزه بعدها بقليل هدف التعـادل برأسه. أصبح الوضـع حرجًا جـدًّا، ولا مناص من السرعة والمهارة والإبـداع لتغيير النتيجة؛ إنّها قدرات لا يمتلكها كروز، ولن يستطيع تيفيز الذي لعب المباراة كاملة القيام بهـا من جـرّاء التعب. كانـوا في حاجة ماسـة إلى ميسـي. وكان هنالك إجماع شعبـي على أنّ مشاركـة ميسي فريقه في تلك المباراة كانـت ستحسم النتيجة قبل التوجّه إلى ركلات الجزاء الترجيحية. لقد كان قادرًا على قلب الموازين لو أُتيحت له فرصة المشاركة.

ولكـن، لمـاذا أحجم بكرمان عـن الاستعانة به؟ لماذا فضَّـل كروز عليه؟ يشـرح المدرِّب هذا الأمر في المؤتمر الصحفي عقـب المباراة، عقب الدموع، والمشاجـرة بين أوليفـر بيرهوف وفرينغز مـن جهة، وكروز مـن جهة أُخرى، وقبـل أن يعلـن استقالته من تدريـب المنتخب؛ إذ يقول: «كنّا فـي تلك اللحظة فـي حاجة إلى مهاجـم يجيد اللعب في منطقة الجـزاء، وميسي لا يحظى بهذه الصفـة. لطالمـا اعتبرنـاه (ميسـي) خيـارًا جيدًا، أنـا على ثقة بأنّـه لم يكن

ليخيِّب ظنّنا». وهو أمر يؤكِّده تعليق ساقه المدرِّب ذاته؛ إذ قال: «قد يكون لدى الأرجنتين خيارات أُخرى، لكنّنا لم نتمكّن من استنهاضها». واليوم، يؤكِّد هوغو توكاللي هذا الطرح بقوله: «كان علينا مواجهة أسلوب لعب الألمان في الكرات الهوائية؛ ما تطلّب إشراك كروز. كنّا متقدّمينَ بهدف في مباراة نتحكّم فيها جيدًا، ونسيطر عليها سيطرة كاملة، إلّا أنّ الإصابة المؤسفة التي تعرّض لها أبودنزيري أفسدت خططنا كلّها».

على الرغم من ذلك كلّه، فلا أحد يصدِّق هذه المبرِّرات، فتخرج النظريات واحدة تلو الأُخرى، في محاولة لشرح ما جرى، وهذه أبرزها:

1- عدم القدرة على استشراف مجريات الأمور: كان فهم بكرمان للأوضاع خاطئًا بكلّ بساطة؛ فقد أخطأ في قراءة معطيات المباراة، واتخذ قرارًا متسرّعًا، وأجرى التغيير في غير محلّه.

2- الجهل بحقائق الأمور وكُنْهها: فالمدرِّب وحده هو الذي يعرف الحقيقة، وسيدوَّن الموضوع في تاريخ كرة القدم الأرجنتينية بوصفه أحد الأسرار المهمة التي يحفل بها ذلك التاريخ، مثل: تعرُّض راتين للطرد في بطولة كأس العالَم عام 1966م، في أثناء المباراة التي خاضها الفريق أمام إنجلترا البلد المضيف (ادّعى الحكم الألماني أنّ هذا اللاعب تعدّى لفظيًّا على الخصم، مع أنّه (أي الحكم) لا يجيد الإسبانية). وقضية تعاطي مارادونا للمنشِّطات في بطولة كأس العالَم عام 1994م. والبطاقة الحمراء التي وجِّهت إلى أورتيغا في بطولة كأس العالَم عام 1998م.

3- الاستماع إلى إرهاصات بعض اللاعبينَ والعمل بها: فقد خضع بكرمان لرأي بعض لاعبي الفريق الكبار، الذين كانوا منزعجين من الهالة الإعلامية التي حظي بها ميسي وحده. وباختصار، فقد كان ميسي يقول دائمًا: إنّه يريد

اللعب، وذلك أمر لم يعجِب كبار اللاعبينَ أمثال ريكيلمي، والقائد روبيرتو فابيان أيالا، اللذيْنِ أفصحا عمّا يدور في خلدهما، وطلبا إلى المدرِّب عقد مؤتمر صحفي. لقد تمكَّنا حقًّا من إقناع المدرِّب بعدم إشراك ميسي في التشكيلة الأساسية.

4- العادات والقيم: لم يكن بإمكان بكرمان التغاضي عن العادات والقيم التي توجِب إشراك كبار اللاعبينَ الذين أمضوا سنوات عدّة من البذل والعطاء.

لن يعرف أحد أيّ التأويلات تلك هي الصحيحة مهما حصل. لذا، عمد خوزيه بكرمان إلى التزام الصمت، وعدم التطرّق إلى الموضوع، ليجري بعد ذلك بعام مقابلة مع مجلة ماركا الرياضية. وحين تسأل هذه الأخيرة:

1- ما الذي حدث مع ميسي؟ ألم يكن هنالك شيء من النزاع بسببه؟ يجيب قائلًا: «إنّني فخور به، فأنا مَنْ ضمَّه إلى فريق الشباب دون سنّ العشرين، في الوقت الذي لم يكن يعرفه أحد. مشكلتنا نحن الأرجنتينيين هي أنّنا نؤمن بأنّ قليلًا من ميسي كفيل بإثارة حماسنا. وقد كان الجميع يتوقّع أن يفعل ميسي في كأس العالَم ذلك ما فعله مارادونا من قبل. ولكن، كانت تلك خطواته الأولى مع المنتخب الأرجنتيني الذي يُعَدّ من المنتخبات العظيمة. أتمنّى أن يقطف ثمار تلك التجربة مستقبلًا».

2- ماذا عن ليو ميسي؟ «لقد ظلّ صامتًا - هو الآخر- حيال هذا الموضوع. وكان أحد القلائل الذين امتنعوا عن الظهور تلك الليلة في برلين أمام الكاميرات أو الميكروفونات. لم يكن ذلك بسبب خيبة الأمل من مغادرة البطولة فحسب، بل لغضبه الشديد ممّا ذكرته بعض التقارير الصحفية عن تصرفه في أثناء تنفيذ الضربات الترجيحية».

3- أَقَرّ ليو بذلك في مقابلة مع صحيفة موندو ديبورتيفو، أعقبت المباراة بخمسة أيام؛ إذ قال: «قالوا أشياء من قبيل: إنّني لم أكن مهتمًّا بالفوز أو الخسارة؛ وهـو أمر عارٍ عـن الصحة تمامًا. لو أنّ أحـدًا كان في غرف تغيير الملابس لعرف ما كنت أشعر به في تلك اللحظات».

4- لـم يتطرّق ليو في هـذه المقابلة إلى قضية عدم إشراك بكرمان له كثيرًا في أثنـاء المباريات: «كان ذلك قراره... وقد سيَّر الأمور على ذلك النحو؛ لأنّها كانـت تنجح كلّ مرّة. وكان لاعبون، مثل سافيولا وكريسبو، يؤدون على أكمل وجه. هكذا كانت تجري الأمور».

فعلى هذا النحو سارت الأمور، وحان الوقت لطيّ هذه الصفحة.

obeikandl.com